تأملات إيمانية

في سورة محمد

صناعة الشخصية الربانية في معركة الحياة



جَمْعُ وَتَرْتِيبُ

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ

أبو بكر القاضي عمر الفاروق



اسم الكتاب: تأملات إيمانية في سورة محمد

اسم المؤلف: أبو بكر القاضي

القطع: ١٢×١٧سم

عدد الصفحات: ٨٠ صفحة

سنة الطبع: ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م

رقم الإيداع

٢٠١٩/٠٠٠٠٠م

دار الخلفاء الراشدين

الإسكندرية أبو سليمان ش عمر

أمام مسجد الخلفاء الراشدين

٠١٠٠٥٠١٣١٥١ - ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦

دار الفتح الإسلامي

الإسكندرية مصطفى كامل

بجوار مسجد الفتح الإسلامي

٠١١٢٦٥٠٠٦٩٦ - ٠١٠٩٤٥٥٥١٥٧

طبع • نشر • توزيع

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

في حقيقة الصراع بين الحق والباطل

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- ثم أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، **ثم أما بعد..**

لقد قدَّر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وهو العليم الحكيم أن تكون الحياة الدنيا ميدانًا للابتلاء والاختبار، ميدانًا للتدافع بين الخير والشر، وبين الكفر والإيمان، وبين الظلمات والنور. وهو تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قدَّر ذلك لحكمة.

﴿حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر:٥].

وهو يستحق الحمد على ذلك..

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١].

فهو الذي شاء أن يوجد تلك الظلمات من الكفر والفساد والضلال.

شاء الله وجود الكفر والكافرين، والظلم والظالمين والفساد والمفسدين ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة، ولو شاء لجعل منكم ملائكة في الأرض يخلفون.

ولكنه قدر كل ذلك وأعلم ذلك للملائكة فتعجبت الملائكة من ذلك، وقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة:٣٠].

وقد علموا أن ذلك من ما لا يحبه الله، أي الفساد وسفك الدماء، وأعلمهم الله بذلك قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، فنحن نؤدي ما تحب من التقديس والتسبيح والعبادة.

يُخلق الملك راكعًا، يُخلق الملك ساجدًا..

قال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أطت السماء، وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا فيه ملك راكع أوساجد لله تعالى**».

فنحن نؤدي ما تحب يا ربنا، فلماذا تجعل في الأرض مَنْ وجوده سيؤدي إلى ذلك ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ علم الله أن سيكون من ذرية آدم عليه السلام من يؤدي عبودية لله ولكنها عبودية مختلفة عن عبودية الملائكة عبودية مختلفة عن عبودية الكائنات وجميع الموجودات عند الله..

فإن كل الكون سائر إلى الله.

﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج:١٨].

الكل يُسبح..

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ ﴾ [الإسراء:٤٤].



عبودية المراغمة والمجاهدة:

الكل سائر الكل يعبد ولكن عبودية الإنسان عبودية مختلفة، إنها عبوديـة رغم وجود الكفر والكافرين والفسـاد والمفسـدين والظلم والظالمين، عبودية رغم وجود شـياطين الجن التي تجرى من ابن آدم مجرى الدم من العروق والنفس الأمارة بالسوء وشياطين الإنس من الكفرة والفجرة والمنافقين.

رغم احتواشـهم طريق الإنسان إلى الله الإنسان فهويشق طريقه إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ويتكبد في ذاك المشاق، ويكدح في ذلك كدحًا..

حقيقة كدح الإنسان وكفاحه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾.

[الانشقاق:٦]

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ [البلد:٤].

وكدحـه وكبـده ليـس في تحصيل لقمـة العيش وليـس في تأمين مستقبل الأولاد وليس في إيجاد المطعم والملبس والمركب فقط..



ولكـن وإنـما أصل كدحه وكبـده في تحمل الأمانـة، أصل كبده وكدحه في تحصيل ذاك القلب السليم الذي يلقي الله به غدًا ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩].

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

[الأحزاب:٧٢-٧٣]

معنى الأمانة:

لك أن تتخيل أن الأمانة التي أُنيطت بك أيها الإنسـان أشـفقت منها السـماوات والأرض والجبال فكم هي ثقيلة، وكم هي عظيمة، وكم هي جسيمة مع أن أكثرنا لا يعلمها.

الأمانة هي التكاليف الشرعية وهي ما كلف الله بها الإنسـان في هذه الحياة مع أن معظمنا إلا من رحم الله لا يهتم أن يتعلم لماذا خلق، ولا مـن الـذي خلقه ولا إلى أين المصـير، وأن أكثرنا يعيش حياته ما



بين نوم ويقظة ما بين مطعم وملبس ومركب ومنكح، يظن أنه خلق ليلهو ويلعب، وإنما خلق ليحيا مع الخالق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في دار غرسها الرحمن بيده.

ولا سبيل إليها إلا بتكبد المشاق قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات**»، وجعل الله الدار الدنيا مليئة بالفتن ومليئة بالمحن حتى يصطفي من يشاء، وحتى يمتاز الصادق من الكاذب.

﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت:٢-٣].

وقال: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ [الفرقان:٢٠].

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك:٢].



تفهـم إذا حكمة العليم.. العليم الحكيم لم يوجدنا عبثًا، ولم يخلقنا هملًا، ولم يتركنا سدًى.. بل أوجدنا في هذه الحياة الدنيا لنُؤمر ونُنهى.

لنُحقـق العبودية له، رغم وجود الشر الـذي بداخلنا من النفس الأمارة بالسوء والشيطان الذي يوسوس لك ويجري منك مجرى الدم من العروق، ونحقق العبودية في نفوسنا وفي نفوس من حولنا..

لتكـون كلمة الله هـي العليا في نفوسـنا وفي مجتمعاتنا وفي أمتنا، وذلـك بمجاهدة أعـداء الله من الكفرة والفجـرة والمنافقين، وببيان الدعوة إلى الله، وبلاغ رسالات الله.

هي معركة، وهو صراع ممتد عبر التاريخ منذ أنزل الله آدم وإبليس إلى هذه الحياة وإلى أن يرث الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الأرض ومن عليها.

ما هو دورنا في هذا الصراع؟

ونحن حلقة من حلقات ذلك الصراع، شئنا أم أبينا علمنا ذلك أم لم نعلمه، عملنا لذلك أم لم نعمل له..

لنا دور ولنا بصمة، إما أن تكون بصمة خير وإما أن تكون بصمة شر، إما أن نؤثر في الناس وندعوهم إلى الله ونبلغ رسالات الله، ونقوم

بالأمانـة التـي أُنيطت بنا اونتأثـر، بمن قال بالباطـل وبمن يدعوإلى الباطـل.. ولمن يزخرف الباطل للناس، ويسـتغل عجـز الثقات قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إني أشكوإلى الله جلد الفاجر وعجز الثقة».

جلـد الفاجـر وعجـز الثقة.. ومـن هنا تنتـشر الفتـن وتتحطم كثـير مـن ثوابت الأمـة حين يعلـم الناس الحـق ولا يصدعـون به، ولا يتكلمون به، ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر..يخافون على حشـمتهم، أويخافون على دنياهم، أويخافون على أموالهم.. بهذا تضيع كثير من الثوابت.

الابتلاء بثمر الاصطفاء:

- ولذلـك قيـل للإمام أحمـد في فتنة خلق القرآن: ألا سـكت؟ فقال: «ألا سكتوا حتى أسكت».

- وقيل لبشر الحافي: ألا تقوم مقام أحمد في (فتنة خلق القرآن)؟ فقال: «إن أحمد يقوم مقام الأنبياء، يصدع بالحق ولا يبالي. فكيف لي أن أقوم مقامه؟!».

هكـذا.. أحمـد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ الـذي قال فيه علي بـن المديني: «إن الله حفـظ هـذه الأمة برجلـين بأبي بكر يوم الـردة، وبأحمد يوم الفتنة».

صار أحمد إمامًـا وصار حين تطلق كلمة (أحمد) تطلق على أحمد بن حنبل بلا منازع، صار هوالإمام، ورفع الله ذكره وجعل له لسـان صدق في الآخرين.

متى جعل الله له ذلك؟

قيـل للإمـام الشـافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أيبتـلى المـرء أم يمكَّـن؟ فقال: «لا يمكَّن حتى يبتلى».

أولًا: مرحلة البلاء، مرحلة التمحيص.

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران].

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ لما ماذا؟

لما تخلوا؟ لما تخاذلوا؟

لما انهزموا؟ لما يأسوا من روح الله؟

لما ابتعدوا عن تعلم العلم النافع، والعمل الصالح والدعوة إلى الله؟

لما تركوا العمل لدين الله وخدمته، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما ماذا؟

﴿لَمَّا صَبَرُوا۟ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤].

لما حصَّلوا العلم الذي به يحصل اليقين، لما حصلوا العمل الصالح الذي لا يثبت عليه إلا الصابر المحتسب، الذي يصبر ويصابر ويرابط، لما علم أنه لم يخلق عبثًا ولم يترك سدًى، وأنه خطواته وأيامه ولياليه سائقته إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأنه سيحاسب عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه.

ويعلم أن الناس عند الله درجات على قدر بذلهم، وعلى قدر تضحياتهم..

قال الحسن البصري: «يأتي الإسلام يوم القيامة يشير إلى كل واحد من الناس ويقول: يا رب هذا خذلني، هذا نصرني».

ثم يأتي على عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيقول: «يا رب كنت غريبًا حتى أسلم هذا».

ماذا يقول عنك الإسلام غدًا؟

هل أنت كان إسلامك فتحًا؟ هل أنت كان إسلامك زيادة؟

أم، أمة الإسلام أمة المليار ونصف أمة المسلمين عبر المشارق والمغارب لم تزدد بإسلامك شيئًا، ولم تزدد بتدينك بهذا الدين شيئًا؟

هل لك دور؟ هل لك بصمة؟

هذه هي القضية.

كان الصحابه -رضوان الله عليهم- الواحد منهم يسلم فتسلم قبيلته، ويسلم بلده وتسلم أسرته مؤثرون في من حولهم، يعلمون أنهم إن لم يؤثرا سيتأثروا..

يعلمون منهجهم، يعلمون قضيتهم، لم يحتاجوا إلى كثرة محاضرات..

لم يحتاجوا إلى كثرة مواعظ، لم يحتاجوا إلى كثرة كتب، لم يحتاجوا إلى مسجلات وكاميرات وإلى شهرة وإلى أضواء.. وإلى فيس وتويتر

وإلى كتب كثيرة، وإلى كتب مذهبة، وإنما كانوا يتعاملون مباشرة مع القرآن.

علموا من القرآن، وعلموا من السنة.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**نزلت الأمانة في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن وعلموا من السنة**».

قال معاذ بن جبل: «تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا».

تواصلوا مع القرآن تواصلًا مباشرًا، ولذلك خالط القرآن قلوبهم النقية.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح، في صحيح مسلم: في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصابت أرضا، فأصاب منها طائفة نقية، قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير**».

كانت قلوبهم طاهرة فلم تشبع من كلام ربهم، كما قال عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لو طهرت قلوبكم ماشبعت من كلام ربكم».

كانت قلوبهم نقية فتعاملت معاملة مباشرة مع السماء، تعاملت مع القرآن الغض الطري، الحبل الممتد من السماء إلى الارض.

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**القرآن هوحبل الله الممدود من السماء إلى الأرض طرفه بيد الله وطرفه في بأيديكم**».

ولذلك.. تعلقوا بهذا الحبل وتواصلوا معه تواصلًا مباشر، أنزلوا الآيات على قلوبهم دواءً، وعلموا أن هنالك فئة من البشر لم يزيدها القرآن إلا طغيانًا وكفرًا.

﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ﴾ [المائدة:٦٨].

﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الحجر:١٢].

نعم.. الكل يمرُّ القرآن على قلبه، ولكن من القلوب قاسية، لا تنبت الكلأ ولا تحفظ ماءً.. فهي قاسية لا تنتفع، ومن القلوب نقية تقبل الماء وتنبت الكلأ والعشب الكثير.

نعم.. كانوا قلة مستضعفة، استغاثوا بربهم، تضرعوا إلى ربهم، ذاقوا الذل ألوانًا، وذاقوا العذاب ألوانًا.. صبروا وصابروا ورابطوا

مع النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. عضهم الفقر بنابـه، وعضهم الجوع بنابه، ولم يتخلـوا عـن ديـن الله، ولم يتخلوا عن النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طرفة عين، بل قالوا: «يا رسول الله، سِرْ حيث شئت، فلو خضت بنا البحر الخضم لخضناه معك»[١].

تصديقًا وبذلًا وتضحيةً لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ما الذي أنبت لهم كل هذا الكلأ والعشب الكثير؟

مـا الـذي جعلهم أهدى الخلق بعد الأنبياء والرسـل -صلوات الله وسـلامه عليهم- قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إن الله نظر في قلوب العالمين فوجد أطهرها قلب محمد فاصطفاه لرسالته، ثم نظر في قلوب العالمين فوجد أطهرها قلوب أصحابه، فاصطفاهم لصحبة نبيه».

فأصبحـوا هـداة العـالم، أصبحـوا رجـال الآخـرة في الدنيـا، كـما يقول أبوالحسـن النـدوي في كتابه «مـاذا خسر العـالم بانحطاط المسلمين» يقول عن الصحابة: «خرجت نفوسُهم من نفوسِهم حتى أصبحوا رجال الآخرة في الدنيا».

(١) كلام سعد بن معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

لم يؤلفوا كتبًا، ولم تنتشر لهم الصور، ولم تنتشر لهم الفيديوهات.

ولكـن مع ذلك أصبحوا أئمة في الأرض لما صبروا وكانوا بآيات الله يوقنـون: لما أنزلوا القرآن على قلوبهم ثم انطلقوا للعمل به في ميدان الحياة. هذه هي القضية..

كيف يجعلنا الله للمتقين إمامًا؟

الإمامة لا تؤتى في الدين بكثرة النوم، أوبكثرة الشغب، أوبكثرة الانتقـادات، أوبكثـره الـكلام، أوبكثـره رفـع الشـعارات أوبكثرة الحماسة..

وإنما الإمامة في الدين لا تُؤتى إلا بعلم وعمل.

إلّا بفهم وبصيرة وتضحية وبذل، وأن تنفق مما تحب..

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢].

مـن أعـز وقتـك، من أعـز جهدك، مـن أعز صحتـك، من أعز مـا تملـك تبذلـه لله.. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ

وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١١١].

فقه الاستضعاف والتمكين:

عليك أن تأخذ بهذه الأسباب، أسباب العلم والعمل وليس عليك النتائج فالنصر والتمكين من عند الله، فقد تموت ولا ترى التمكين.

* مات موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في سنوات التِيه ودعا الله أن يقرب قبره من الأرض المقدسة برمية حجر، نعم لم يَرَ التمكين موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الكليم.

* كانت خلاصة دعوة إبراهيم بأسرها اثنان: (سارة ولوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)، أكثر بكثير ممن يحضر أي محاضرة لأي داعية.. أكثر بكثير ممن استجاب لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومع ذلك أثر إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في العالم أثرًا عظيمًا..

أثر إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في التاريخ أثرًا عظيمًا، بماذا أثروا في التاريخ؟

بما في قلوبهم، بما في سرائرهم، بما بينهم وبين الله وتعالى.

* نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خلاصة من استجاب له ثمانون إنسانًا ما بين رجل وامرأة على أعلى التقديرات، ما يقال عنه قليل، ولم يهتم القرآن أن يذكر بالتفصيل عدد من استجاب لنوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.. ولكن ذكر بالتفصيل السنوات التي قضاها نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الدعوة؛ لِتعلم أن ليس عليك إلَّا الصمود وإلا الثبات على دعوتك وليس عليك النتائج..

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود:١٢٣].

ليس عليك إلَّا أن تفعل ما تستطيع، فإذا فعلت ما تستطيع.. فتح الله عليك أبواب ما لا تستطيع وإذا عملت بما علمت علمك الله ما لم تكن تعلم.. ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٨٢].

قال شعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو النبي: ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود:٨٨].

لم نختر أن نولد في عصور الفتنة، لم نختر أن نولد في عصور الديمقراطية والعلمانية، لم نختر أن نولد في عصور الليبرالية.. لم نختر، ولو كان الأمر لنا لاخترنا أن نولد في عصر النبوة، أو لاخترنا أن نولد في عصر الخلافة الراشدة أو في عصر الدولة الأموية أو في عصر بني العباس أو في دولة المماليك أو المرابطين أو الموحدين أو الأيوبية أو حتى العثمانية..

لم نختر أن نولد بعد سقوط الخلافة وتشرذم المسلمين في المشارق والمغارب منذ ٩٠ عامًا.. لم نختر ذلك، بل نحن مقهورون في ذلك، الله قاهر فوقنا، وهو القاهر فوق عباده..

لا تختار لك زمانًا، ولا تختار لك مكانًا.. ولا نستطيع ذلك وإنما الذي تختاره هو أن تحقق عبودية الوقت عبودية الزمان وعبودية المكان على قدر استطاعتك.. هذا الذي تُكلف به.

أن تكثر الخير، وأن تقلل من الشر..

❋ فيوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ شارك في وزارة دولة كافرة ليكثر الخير، ويقلل الشر، والدعوة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا تقف في مكان دون مكان.. ولا في زمان دون زمان، حتى ولو كنت مغيبًا في غيابات

السجون تدعو إلى الله.. وإن كنت على أَسِرة الملوك تدعوإلى الله، وإذا كنت في الشارع تدعوا إلى الله.. في بيتك، في عملك.. تدعوإلى الله.. فقيرًا تدعوإلى الله، غنيًّا تدعوإلى الله، مريضًا تدعوإلى الله، صحيحًا تدعوإلى الله..

أنت تحقق العبودية في أي وقت، وفي أي زمان وهذه الربانية هي التي جعلت الصحابة رضوان الله عليهم رواد العالم، ومصلحي العالم في الحقيقة.

فقه التعامل مع القرآن:

هذه الربانية أوتوها من قبل تلقيهم الوحي بقلوب طاهرة واعية.. بل نزول القرآن، وتعاملهم مع الوحي مباشرة.. كثيرًا منا يحسن أن يقرأ كتابًا، أوأن يسمع درسًا، أوأن يسمع محاضرة..

* ولكنه لا يحسن أن يأتي بالوِرد القرآني ويثبت عليه ويتدبره.

وهذا هوالمقصود الفهم والتدبر والتخلق.

كم قدر الاستفادة من القراءة، كم آية علقت في قلبك، وكم آية فهمتها، وكم آية طبقتها، وكم آية تخلقت بها؟

وكم آية رأيت بها العالم، عدسة تلصقها على عينك ثم تنظر بها إلى نفسك، وتنظر بها إلى نفوس من حولك، وتنظر بها إلى المجتمع وتنظر بها إلى العالم وتنظر بها إلى الكون؟

كم آية هكذا أصبحت منهاج حياة في ليلك ونهارك، في سرك وعلانيتك، في عبادتك ومعاملاتك وأخلاقك ودعوتك؟

هذا هورصيدك من القرآن.

رصيدك من القرآن ماتدبرته، ما فهمته..

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾.

[ص:٢٩]

ومن هذا المنطلق نحن نحتاج أن نتعامل مع القرآن بث مباشر الآن.. بث مباشر وكأنك متصل بالسماء ترى القرآن ينزل غضًّا طريًّا.

نتعامل كبث مباشر مع القرآن كأن القرآن ينزل علينا نحن، ينزل يخاطبنا نحن.. هذه هي القضية، التي كان الصحابة يتعاملون بها كان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «كنا في زمن الوحي لا نكثر من ملاعبة نسائنا؛ خوفًا من أن ينزل الوحي يعاتبنا».

وفعلًا الوحي عاتبهم، حين كانوا يكثرون الضحك ويكثرون اللعب.. ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الحديد:١٦].

يقول: «فلما مات رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ تبسطنا مع نسائنا».

لأنهم كانوا كأنهم يَرقبون: الآن سيُنزل الله الآية، الآن سيعاتبنا الله، الآن سيأمرنا الله!

وهذا أمر ممتد إلى الآن، انت الآن مطالب أن تتعامل مع القرآن على أنه يخاطبك أنت، فالقرآن فوق الزمان وفوق المكان، ولم يخاطب الصحابة فقط، بل خاطب كل من أتى بعدهم، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها!

إلى أن يُرفع القرآن، تأتي الليلة التي يسرى على كتاب الله، فيرتفع القرآن من الأرض فيفتح الناس المصاحف فلا يجدون من القرآن كلمة واحدة.. ويُرفع من الصدور.. تخيَّل الدنيا بدون القرآن تخيَّل الحياة بدون قرآن.. هل سيستقيم العيش فيها؟!

تخيل الدنيا بدون بيت الله الحرام حين يهدمه ذوالسويقتين حجرًا حجرًا.. هذا مؤذن بخراب العالم..

قال تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة:٩٧]. قيامًا لدينهم ودنياهم، فإذا هدم خرب العالم.

يقول ابن القيم: «فالشريعة هي قرة العيون وحياة القلوب ولذة الأرواح، وهي بها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة وكل خير في الوجود فإنما هو مستقاه منها وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فبسبب ضياعها ولولا رسوم قد بقيت لخربت الدنيا وطوي العالم، وهي العصمة للناس وقوام العالم، وبها يمسك الله السماوات والأرض أن تزولا، فإذا أراد الله خراب الدنيا وطي العالم رفع إليه ما بقي من رسومها؛ فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم، وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة». اهـ كلام ابن القيم في «إعلام الموقعين».

لذلك نحن مازلنا في فرصة، ولا نزال في مهلة، لا تزال المصاحف فيها كلام الله.. وعليها الأتربة ولا يقرؤها أحد، ولا يفتحها أحد، ولا ينزلها على قلبه أحد..

القضية ليست فقط أن تقرأ، القضية أن تقرأ، وأن تفهم، وأن تتدبر، وأن تعي، وأن تتخلق، وأن تكون من أهل القرآن.. كثير المعاشرة مع القرآن، كثير التخلق بأخلاقه.

من هذا المنطلق.. نحن نحتاج أن نتعامل مع القرآن أنه نزل من أجلنا نحن، من أجلك أنت، تنزله على قلبك أنت على سمعك أنت، على بصرك أنت، على لسانك أنت، على يديك أنت، على رجليك أنت..

والشريعة هي القرآن والسنة.. فتخيل العالم حين يُرفع القرآن حتى تحقق العبودية لكل جارحة من جوارحك».

قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه**».

ونصيبك من توفيق الله، على قدر تطبيقك للعبودية لكل جارحة من جوارحك على قدر حظ كل جارحة من جوارحك، من تطبيقك للوحي.

هل أنت فعلًا تطبق الوحي في كل حركة وسكنة في كل لفظة ولحظة؟

هل أنت تحقق الوحي في كل كلمة؟

هل أنت تطبق الوحي في كل صغيرة وكبيرة من حياتك ؟

داء العصر الأكبر الغفلة عن الله والدار الآخرة.

كثيرًا ما نستهين بالسنن ونقصِّر في الواجبات ونستصغر المعاصي! و«لا صغير مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار»[(١)].. مع إصرارك على هذه الصغيرة تصبح كبيرة، ومن قال لك أنك لن تحاسب على الصغائر؟

﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف:٤٩].

قال الحسن البصري: «لا يغادر ضحكة ولا ابتسامة».

(١) قول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وقال أيضًا: ضج القوم من الصغائر قبل الكبائر».

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة].

﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ [المجادلة:٦].

لا تكن في غفلة، لا تعش في غيبوبة!

غائب القلب، عن واقعه، عن مستقبله!

غيبوبة عن الآخرة

غيبوبة عن: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصافات:٢٤].

غائب القلب عن: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٨].

﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴾ [الصافات:٦٢]، ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴾ [الدخان].

﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [غافر:٤٧].

غائب القلب عن قول الله لأهل النار: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٨].

غائب القلب عن قول أهل النار لمالك: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف:٧٧].

منشغلين باللحظات..

الدنيا لحظات، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**ما الدنيا في الآخرة إلا كما يضع أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بما يرجع**».

غافلين..

﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾.
[الروم:٧]

﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الأنبياء].

متجاهلين، منشغلين..

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء**».

قال ﷺ: «**على ما يقتل أحدكم أخاه؟**».

هو منشغل تمامًا عن مستقبله الحقيقي، عن الذي ينتظر البشرية، من أهوال عرصات يوم القيامة.

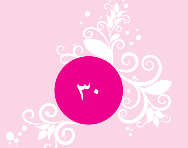
عن موقفه هوهنالك حين يكون عريانًا غرلًا غير مختون، لا ينفعه مال ولا بنون.

كثير منا غائب القلب والذهن عن ذلك، ومِن ثَمَّ حياته كلها غفلة ليلًا ونهارًا..لا يزداد علمًا ولا عملًا ولا إيمانًا..

يمشي هكذا في الدنيا، لا يدري غايته فيها، بل هويمشي هكذا.. يأكل ويشرب وينام.. نسأل الله العفووالعافية.

وليس هكذا حال المؤمن، إنما حال المؤمن أنه ما بين التدبر والتفكر:

- التدبر لآيات الله الشرعية في القرآن والسنة.
- والتفكر في آيات الله الكونية في الكون من حوله..



ولذلك نحن اليوم إن أردنا -حقيقةً- اتباع مذهب السلف، وأن نلحق الصحابة، وأن نسير في ركبهم، فمولانا مولاهم ويعطينا من أعطاهم وليس الأمر مستحيلًا.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [التوبة: ١٠٠].

جعل لمن اتبعهم بإحسان نصيبًا من الأجر والثواب، لكن القضية أن نتبع بإحسان!

أن تتقن ذلك..

- بعضنا يتقن أن يتبع لاعبي الكرة، بعضنا يتقن أن يتبع الممثلين والممثلات في كل حركات حياتهم..

- بعضنا يتقن حتى أن يتبع بعض المشايخ أوالدعاة، ولا يحسن أن يتقن اتباع السلف وأن تنصرف همته في تتبع السلف في إنزال الوحي على قلوبهم، وفي تطبيقاتهم لهذا الوحي في حياتهم..

هذه ليست هي السلفية، وإنما حقيقة السلفية أن تتبع الصحابة، وأن تأتسي بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة[1].

(١) قول ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

معالجة القرآن المدني لمرض النفاق:

ولذلـك نحن في هذه السـطور سـندلف إلى سـورة من السـور المدنية والتي خاطبت المؤمنين، والسور المدنية تتميز عن السور المكية في أنها خَاطبت مجتمع المؤمنين وقد اختلط بهم المنافقون، فهنالك من أسلم ليعصم دمه وماله، واختلط بهم غيرهم.

أما في مكة فلم يكن هنالك نفاق فالكفر كفر والإسلام إسلام؛ لأنه لم يكن للمسلمين شوكة.

لماذا سينافق أبوجهل ابن مسعود وهو ضعيف؟

ولكن لما أصبح للمسلمين شوكة في المدينة ظهر النفاق ونجم.

ولذلك آيـات القرآن المدني فيها ميزة خاصة، وهي كيفية علاج النفاق في القلب..

خوف السلف من النفاق:

ومسألة النفاق مسألة تطل برأسها في واقعنا..

- سمع حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلًا من التابعين يقول: «اللهم أهلِك المنافقين» فقال: «يا بني لو أهلكهم لاستوحشتم في الطرقات».

فهذا عصر حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والتابعين من القرون الخيرية الأولى، فكيف بنا نحن؟!

- وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول لحذيفة: «بالله عليك أسماني لك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنافقين»، فيقول له: «لا، ولا أُزكي أحدًا بعدك».

عمر خائف أن يكون من المنافقين، فكيف بي أنا وأنت؟!

والإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ كان يقول: «ما أَمِنَه إلا منافق، وما خافه إلا مؤمن، ولو أعلم أني بريء من النفاق خير عندي من طِلاع الأرض ذهبًا».

لماذا كل هذا الخوف من النفاق؟

لأن النفاق يتسرب إلى القلوب، النفاق يزيد وينقص، يزيد بالمعاصي وينقص بالطاعات، يزيد بخصاله وينقص بالتبرؤ منها،

لذلـك يوجد نفـاق أصغر ونفاق أكـبر، نفاق عمـلي ونفاق عقدي، ولذا لابد من الخوف!

- يوجـد من النفاق خصال لو وُجـدت في أحدنا فعنده نبتة من النفاق حتى يدعها:

١- **الكسـل عن الصـلاة:** ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء:١٤٢].

٢- **الرياء:** ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء:١٤٢].

٣- **قلة الفقـه في الدين والعلم:** ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون:٧]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون:٨].

٤- **الغدر، والكذب، والخيانة:** «آية المنافق ثلاث...».

٥- **قلة ذكر الله:** ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢].

٦- **الشـح وحدة اللسان على المؤمنين:** ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [الأحزاب:١٩]. فيحد على إخوانـه ويزدريهم ويقلل من

شـأنهم وأعمالهم ويشـح عليهم ليس فقط بالمال بل بكلمة طيبة داعمة.

٧- **التشـكك في وعـد الله بالنصـر للمؤمنـين والتمكـين:** ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب:١٢]. يشكك ويستريب في عودة الخلافة والجهاد ودولة الإسلام، ومن ثم ينهزم للكفار، ويبتغي العزة عندهم، وخابوا وخسروا فإن العزة لله جميعًا.

ولذلك نحن في خطر، النفاق سلوكيات وخصال.

أنت تسـمع أقوالًا ومقالاتٍ وترى سـلوكيات النفاق تتكرر في نفسـك ومن حولك في اليوم مرات. نحن نحتاج أن نتداوى بأدوية القرآن.

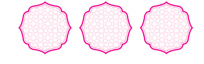
إن كان الصحابـة كانوا يخشـون على أنفسـهم النفاق ويتداوون بالقرآن، فحاجتنا وأدواؤنا أشد!

ولذلك السور المدنية تتكلم عن هذا النوع وتخاطبه مباشرة .

***

موعدنا في هذه السطور مع سورة مدنية هي سورة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذه السورة من أكثر السور المدنية التي تهز القلب هزًّا عنيفًا، والتي تخاطب القلب بالتهديد تارة، وبالعتاب تارة، وبالأوامر وبالنواهي تارة، وبالترهيب تارة، وبالترغيب تارة.



• خمس وقفات مع سورة محمد •

نحن نحاول أن نستجلب ونستدل من الآيات أنوارًا على واقعنا وعلى نفوسنا حتى نسير إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على بصيرة.

نحن سنجمل الكلام فيها في خمس وقفات:

أول وقفة فى هذه السورة:

أول وقفة صدر الله بها السورة وهي:

البعد الغيبي في المعركة المحسومة.

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ﴾ [محمد].

ماذا يعني البعد الغيبي؟ يعني أن كثيرًا منا يمارس الدعوة إلى الله مستغرقًا في التفاصيل والأسباب، وتغيب عنه الغايات الكبرى

في هـذه المعركـة، فيظـن أن العبرة بالأسـباب والإمكانـات والعدد والعتاد، فيؤثر ذلك عليه سلبًا وينقص من توكله وحاله القلبي.

وإنـما يجب عليه أن ينظر إلى السـماء ويتعلق بفـوق فيعلم أن الله يصنـع لدينه وهذا هوالمقصود بالبُعـد الغيبي، أن الله لا يصلح عمل المفسـدين ولا يضيـع أجـر المصلحـين، وأن الأمر من السـماء لا من الخلق.

والأمـر الثانـي: أن الله قد قـضى أن العاقبة للمتقـين، فالمعركة محسومة في الدنيا قبل الآخرة.

فالبُعد الغيبي هوأن الله يدافع عن ذلك الدين، وأن الله هوالذي يصنع لذلك الدين، وأن الله هوالذي يدبر لذلك الدين، وأن الله مُتِمُّ نوره لأن هذا الدين هونوره في الأرض.

إذ كما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الأمر من هاهنا وليس من هاهنا» من السماء وليس من الأرض.



قد تكون قليل الإمكانيات، قد تكون قليل العدة والعتاد، ولكنك قوي بالامتثال لأمر الله.. قوي لأنك منتسب إلى السماء ولو اجتمع عليك مَن في أقطار الأرض.

فبدأ الله السورة بفعله بالكافرين التي قد يغفل عنها الكافرون. أنه يفعل ذاك بهم فإياك أن تكون معهم غافلًا ولا تنظر إلى آثار فعل الله فيهم وآثار صنع الله فيهم.

مكر الليل والنهار:

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ليسوا فقط كفارًا في أنفسهم، بل دعاة للكفر، وكفرهم متعدٍّ شره لغيرهم.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل:٨٨].

روابط كمؤسسات، قنوات، عولمة، أيدلوجيات، أفلام، مسلسلات، روايات، شهوات وشبهات، تنصير، إلحاد، صهيونية، علمنة، ليبرالية، تغريب كامل، تزييف للوعي، مسخ للهوية، تذويب للحدود الفاصلة بين العقائد والأديان، تجهيل، تفقير للأجيال حتى

تغييب عن حقوقها وعن قيمها ومبادئها، نشر للفواحش والشذوذ والإدمان، تدمير كامل بالصد عن سبيل الله، صناعة للأفكار المتطرفة حتى داخل ساحة المسلمين التي تصنع إسلامًا يناسبهم يقود إلى الخرافة والتخلف والبعد عن جوهر الدين وإقامة الشريعة قرآنًا وسنةً، نشر الفلسفات الباطلة وعلم الكلام، وإفساد العقائد بذلك، وتصدير الجهلة وعلماء السلطان لتسليط الطواغيت والظلمة على المسلمين.

﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ [سبأ:٣٣].

وهذا المكر كفر متعدٍّ شره لغيرهم، صد عن سبيل الله، وإرادة الحياة أن تسير معوجة، ليس لهم فقط بل باسم العولمة على العالم، يقودون العالم إلى الهاوية.

﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء:٨٩].

ومع ذلك أضل أعمالهم:

حين ترى المكر والكيد، حين ترى الغزو الثقافي والغزو الفكري، حين ترى الغزو العسكري والاقتصادي والكيد والمكر الذي هو ليل نهار، المكر الكُبَّار الذي تكاد تزول منه الجبال -تجزم أن بالأسباب والإمكانيات فقط لا تستطيع الانتصار، ومع ذلك الله يقول: ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾، ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم:١٨].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران:٢٢].

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد:١٧].

هم في الحقيقة لا يريدون صلاح العالم؛ إنما يريدون فساد العالم، هم يريدون أن يعيشوا في ظلام ليس وحدهم بل جميع الناس تعيش

في ظلام؛ لأنهم خفافيش، والخفاش يخاف من النور، فيسعون لإظلام العالم بظلامياتهم وأفكارهم ومعتقداتهم العفنة.

ومع ذلك: إياك أن تنهزم؛ فأعمالهم ضالة محبطة لا قيمة لها.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٦].

﴿ فَسَيُنفِقُونَهَا ﴾: ستضيع ويخسرونها وتذهب جهودهم هباءً.

﴿ ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾: في الدنيا.

﴿ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾: في الآخرة.

هذه معركة محسومة!

إذن فلماذا قدَّرها الله؟ من أجلك أنت أيها المؤمن، من أجل أن تخاف الله وحده وأن ترجوالله وحده، وأن تجاهد في سبيله وحده، وأن تظهر ما في قلبك لله من الخير، من اليقين وحسن الظن بالله.

﴿ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء:٦٢].

﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة:٤٠].

أن توقـن في لحظـات: «ولو نظـر أحدهم تحت قدميـه لرآنا» أن توقن أن الله لا يضيع عبده ولا يضيع دينه.

في مثل لحظة: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء:٦١]، ولو أدركنا فرعون لانتهى كل شيء.

تقول: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٦٢].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾. [محمد:٢]

وهـذه الآيـة دليل عـلى أنه لا يقبـل بعد بعثتـه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقال: (لا إله إلا الله) فقط.

بل لابد أن يقال: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وأن هذا شرط في الإيمان لا كما يقول بعض من الزنادقة أنه يكفيه أن يقول أشهد أن لا إلـه إلا الله، ويصبح مؤمـن ويدخل الجنة حتى ولـو كذَّب محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قـال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسـمع بي أحد من هذه الأمة يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولا يؤمن بي إلا أدخله الله النار**».

﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد:٢].

﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: لأنهم لا يرجون إلا مغفرته أولًا وآخرًا.

﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾: قال ابن عباس (أي: أمرهم).

وقال مجاهد: (أي: شأنهم).

وكل الأمور متقاربة أصلح حالهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ،أصلح سرائرهم وعلانيتهم، الله الذي يصلح لك بالك.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب].

كثيرٌ جدًّا ما يكون فينا من التقصير والخلل ما الله به عليم، محتاجون لله أن يصلح لنا أعمالنا وتكون نافعة لنا ، ونافعة لأمتنا ، ونافعة للأجيال من حولنا. من الذي يصلحها ؟ (الله).

نؤدي العمل ونغرس الغرس ولكن مَن الذي يزرعه؟ (الله).

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله ليأخذ الصدقة بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم فلوه**».

الله يربي الصدقة كما يربي أحدكم فلوه (وهو المهر الصغير).

وهذا ليس قاصرًا على صدقة الأموال، بل يتعدى إلى صدقة الكلمات، والدعوة، والكلمة الطيبة صدقة، وأفضل كلمة لها أثر على وجه الأرض كلمة الدعوة إلى الله وتوحيده وحقائق الإيمان.

حين تقول كلمة في المسجد، تكتب كتابًا، تكتب مقالًا؛ فهذه صدقة لعلمك بين الناس.

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يأخذها بيمينه يربيها لك فيعم نفعها البلاد والعباد وأنت ليس عندك خبر.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالًا من رضوان الله يكتب الله بها رضوانه الى يوم يلقاه**».

كلمة تبلغ المشارق والمغارب وليس عندك خبر.

وفي رواية: «**لا يظن أن تبلغ ما بلغت**».

مَثل الداعية كرجل يأكر تمرًا ويرمي البذر، فبعد سنين تمر وقد ازدحمت الطرق بالنخل، هو رمى البذرة والله زرعها في القلوب الخصبة النقية الطاهرة!

الله الذي يصلح لك عملك، يصلح لك دعوتك .

ابدأ الآن:

في مسجدك..

كل يوم يكون هناك درس العصر، كل يوم في درس العشاء، وإقامة الخمس صلوات والأذانات، ويكون هناك مجلة وطلائع وشباب.

سد الثغرات، القيام بفروض الكفاية، توفير محضن تربوي للشباب والصبيان ومقارئ للناس.

وكل خطوة صغيرة تكبر مع الأيام، وكل مشروع بداية يكون إنجازات مع الأيام.

الله يصلح لك هذا العمل، يكبره لك، يربيه لك.

تعقيد العصر الحديث تفك شفرته بالصبر مع التخصص والتجارب والتكامل والمشاريع الصغيرة.

فمشروع صغير بجانب مشروع صغير غدًا يكبر.

ولذلك هذا هومنهجنا في الإصلاح، أن نصلح المجتمع من الأسفل، شخصية بجانب شخصية بجانب شخصية نكون الطائفة المؤمنة التي لا تزال على الحق ظاهرة، التي لا تزال ظاهرة على الدين، التي ينصرها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أولًا:

تكون ظاهرة على الحق بالحجة والبيان ثم يتسنى لها القدرة فتكون ظاهرة على الحق بالقوة والسنان.

الآن لا نستطيع الجهاد العسكري ولكننا مطالبون بإعداد العُدَّة وأخذ الأسباب أسباب القوة الشاملة وأسباب الجهاد.

أول أسباب الجهاد أن تجاهد نفسك، أن تتعلم أن تتعبد، أن تجاهد شيطانك ثم بعد ذلك أن تحدِّث نفسك بالغزو، وأن تأخذ بأسباب الجهاد من القوة أن تعلم من الذي تجاهد ومن الذي تقاتل؟ أن تتعلم فقه الجهاد، أن تعلم مَن الذي يستحق القتل ومن

الذي يستحق القتال؟ قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠] فأنت تفعل ما تستطيع حتى يُقدِّرك الله على ما لا تستطيع، فتفرق بين المقدور والمطلوب، فالمقدور في واقعك الصغير الذي تستطيع أن تتحرك فيه بالإصلاح، ولكن المطلوب هو خلافه على منهاج النبوة، وأن تقوم الدولة التي تقيم الدين وتسوس الدنيا به، وأن يعمَّ التوحيدُ الأرضَ فلا يكون هناك فتنة، أي: لا يكون هناك شركٌ ظاهر، ويحكم الإسلامُ العالمَ.. هذا هو المطلوب، وهذا سيكون ولا شك، وسيكون من نسل هؤلاء الذين يمكثون الآن في المسجد من يتبع المهدي في الملاحم الكُبرى وينصره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ به، أو ممن يحرزهم (يحميهم) المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى جبل الطور.. هذا وعد صادق نحن نؤمن به.

ولكننا نفعل ما نستطيع من الأعمال الصالحة ويربي الله لنا أعمالنا ويصلح لنا بالنا ويصلح لنا أعمالنا.

ينبغي علينا ألَّا ننظر إلى ضعف إمكانياتنا ونعلم أن النصر من عند الله.

الآن لا نستطيع الجهاد العسكري ولكن مطالبين بإعداد العدة وأخذ الأسباب، أسباب النفرة الشاملة.

وأسباب الجهاد:

أول أسباب الجهاد أن تجاهد نفسك.

أول أسباب الجهاد أن تتعلم.

أول أسباب الجهاد أن تتعبد.

أول أسباب الجهاد أن تجاهد شيطانك.

ثم بعد ذلك أن تأخذ بأسباب الجهاد.

أن تحدث نفسك بالغزو، وأن تأخذ بأسباب الجهاد من القوة وأن تعلم من الذي تجاهد، ومن الذي تقاتل ، وما هوفقه الجهاد الذي سوف تجاهده، ومن الذي ستقاتل، ومن الذي يستحق القتل، ومن الذي يستحق القتال، وضوابط ذلك من أسباب القوة.

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ ﴾ [الأنفال:٦٠].

فأنت تفعل ما تستطيع حتى يقدرك الله على ما لا تستطيع.

تفرِّق بين المقدور وبين المطلوب.

المقـدور: قـد يكون صغـيرًا، وقد يكـون واقعك صغـيرًا الذي تستطيع أن تتحرك فيه.

ولكـن المطلوب: هو خلافة على منهـاج النبوة، وأن تقوم الدولة التـي تقيـم الديـن وتسـوس الدنيا بـه، وأن يعـمَّ التوحيـد الأرض فـلا يكـون هنالك فتنـة ، أي: لا يكون هنالـك شرك ظاهر، ويحكم الإسلام العالم. هذا هو المطلوب.

وهذا سـيكون ولا شـك ، وسيكون من نسـل هؤلاء من الذين يمكثون الآن في المسجد من يتبع المهدي في الملاحم الكبرى ونصره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ به.

أو ممـن يحرزهم (يحميهم) المسـيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى جبل الطور هذا وعد صادق نحن نؤمن به.

ولكننـا نفعـل ما نسـتطيع مـن الأعـمال الصالحة ويـربي الله لنا أعمالنا، ويصلح لنا بالنا ويصلح لنا أعمالنا.

ينبغـي علينا ألَّا ننظر إلى ضعف إمكانياتنـا ونعلم أن الأمر من السـماء وليس من الأرض ونصرة الله لنا ليسـت بلا أسباب، ليست شعارات.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ [محمد:٣].

كيف تنصر الله؟

وحقيقة النصرة: أن تتبع الحق في نفسك قولًا وعملًا وسلوكًا، وهذا يستلزم منك أن تتعلم وأن تعلم ما هو الحق من الباطل؟!

لكي تخرج من الخلاف وتنجو من الافتراق ومفارقة الدين وتفريقه اعرف الحق تعرف أهله.

لابد أن تتعلم لذلك:

الوقفة الثانية:

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد:١٩].

العلم قبل القول والعمل وهذا باب بوبه البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه: (باب العلم قبل القول والعمل).

واستنادًا لقوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾.

أولًا تتعلم ثم تستغفر.

أولًا تتعلم ثم تعمل.

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾.

هذا هو أشرف أنواع العلوم (العلم بالتوحيد).

هذه الكلمة المقدسة تستحق أن يفني عمرك تعلمًا لحقائقها وشروطها، وأكثرنا لا يعلم معنى هذه الكلمة، لا يعلم شروطها، لا يعلم أركانها، لا يعلم لوازمها، لا يعلم ما معنى الكفر بالطاغوت، لا يعلم معنى الإيمان بالله، لا يعلم ما معنى أنواع الشرك ومظاهره، لذلك تجد كثير من القبوريين يمرحون في الإعلام ويمرحون في مساجدنا ولا رادع لهم ولا صاد لهم، لماذا؟! لأننا لم نتعلم أنه (لا إله إلا الله).

رجل من المبتدعة يخرج يقول: نحن لا نريد العقيدة السلفية، نحن نريد عقيدة أشعرية. هكذا يقولها!

والأشاعرة مؤولة في الصفات، جبرية في القدر، مرجئة في قضايا الإيمان والكفر، ويصرح بها هكذا.

أيـن دعاة أهل السـنة حراس الشريعـة الذين تعلمـوا الاعتقاد مسألة مسألة ليعلموه للناس ويجابهوا أهل البدع؟!

أين اهتمامنا بتعلُّمنا نحن هذا العلم الواجب؟!

يخـرج من يخرج منهم ويـصرح: (القرآن كلام الله نفسي، وليس كلام حقيقـي) عقائدهـم ينشرونها.. عقائد باطلة تنـافي العلم بـ(لا إلـه إلا الله) بكمالـه وجلالـه وجماله، والعلـم بأسـمائه وصفاته وأنه يتكلـم كلامـه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦].

وأنها صفة من صفاته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

القضية التي من أجلها سجن وجلد الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قضية خلق القرآن وأن القرآن كلام الله غير مخلوق.

العقائـد الباطلة والتقليـد الأعمى في الفقـه والتعصب المذموم للمذاهـب تنتشر من خلال مؤسسـات وأكاديميات تخترق طبقات

الجماهير الراقية والمثقفين، وهذا خطر داهم، وأين نحن من طلب العلم؟

بعضنا بل أكثرنا لم يختم كتابًا واحدًا في أسماء الله وصفاته، لا يفهم أصلًا مسألة الكلام، ومسائل خلق القرآن من عدمها.

لو تكلمنا معه في قضية القضاء والقدر ما هو؟ وهل الإنسان مسير أم مخير؟ لا يستطيع الإجابة.

لا يستطيع مناظرة ملحد مبتدئ، ولا بيان عقيدتنا في القضاء والقدر وخلق الشر، وكيف يكون للإنسان فعل وللرب فعل؟ كيف هذا؟ وما العلاقة بينهما؟

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩].

قوتك وقوة دعوتك في علمك وفي فهمك لنصوص القرآن والسنة.

ينبغي علينا –على أقل التقديرات– أن نختم كتابًا واحدًا في التوحيد، كتابًا واحدًا في الفقه، لكي ندرك الشريعة لننصرها في نفسنا ونفوس من حولنا.

فقه الاستغفار:

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد:١٩].

على قدر علمك بـ(لا إله إلا الله) تعرف ذنبك، وتستغفر له.

لماذا لا يستغفر ويكل لسانه عن ذلك ويغيب قلبه عن رؤية جوانب التقصير؟ لأنه لا يعلم قدر الله؛ فيرى نفسه قد أدَّى ما عليه.

وما قدروا الله حق قدره:

مهما بذلت لا تقدره حق قدره، ولكن علمك بقدره، وعلمك بعظمته.. يجعلك دائمًا تشعر بالانكسار، وتشعر بالافتقار؛ لذلك الملائكة يخلق منهم الملك راكعًا أوساجدًا إلى أن تقوم القيامة ثم يقول: «**سبحانك ما عبدناك حق عبادتك**» إذا قامت القيامة.

لماذا؟ لأنهم يعرفون من جلاله وكماله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ حين كان في المعراج وارتقى إلى المرتقى عند سدرة المنتهى، فتقدَّم.. التفتَ فلم يجد جبريل إلى جانبه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فنظر إليه خلفه فوجده كالحلس البالي من خشية الله.

مع أنه ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾، ذوقوة، جبريل له ٦٠٠ جناح، كل جناح يسد الأفق.

بعضنا يغتر بعبادة سر يفعلها، يغتر بعلم يتعلمه.

(لو علمت ما لله من جلال وكمال وجمال لعلمت أنك حري بك الاستغفار)

النبي محمد يُقال له: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾.

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهو المعصوم، ومع ذلك له ذنوب يستغفر منها، بل له ذنب ينقض ظهره.. ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح].

كان عاصم الكوفي حين يقرأ هذه الآية يبكي ويقول: «ما الذنب الذي أنقض ظهر رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ».

والأنبياء معصومون من الشرك والكبائر وقبائح الصغائر، وما يقعون فيه إما أن يكون نسيانًا أو خطئًا أو اجتهادًا.. فالأشياء التي عاتب الله فيها النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ما كانت إلا اجتهادًا أو نسيانًا أو خطئًا، ومع ذلك تُعَدُّ في حقِّهم ذنوبًا لما يعلمونه من الله.

«إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية».

علي قدر العلم تكون الخشـية، على قدر العلم يكون الخشية على قدر العلم يكون الانكسار والافتقار.

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾ [محمد:١٩].

الوقفه الثالثة:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤].

حطِّم القفل!

بعـد أن تعلـم أن هذه المعركة محسـومة، وأن هناك بُعـدًا غيبيًّا، ترى من آثار أسـماء الله الحسـنى وصفاته العلا، وتعلم أن الأمر من هاهنا (السـماء) وليـس من هاهنا (الأرض)، وبعـد أن تتعلم العلم النافـع وتنكسر بين يدي ربك وتعلمـه وتنشر هذا العلم وتخدم دين الله بـه –إيـاك أن تنسـى قلبك في خضـم الأحداث، إياك أن تنسـى قلبك في خضم الفتن، إياك أن تغفل عن مداواة قلبك بالقرآن.

ولم يقل: (أفلا يتلون القرآن أو أفلا يقرأون القرآن)، بل قال:
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾.

وهذا ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتكلم في هذه المسألة فيقول:

(أن التدبر جاء في القرآن أربع مرات فقط:

جاء مرتين في سورتين مكيتين، وجاء مرتين في سورتين مدنيتين.

فأما السورتان المكيتان: فهم سورتا (صاد والمؤمنون)، فأتى بلفظ (الدبر) يدبر.. وليس (يتدبر).

- ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون:٦٨].

- وفي سورة (ص): ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [ص:٢٩].

وفي سورتين مدنيتين: (النساء ومحمد).

- ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢].

- ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤].

فيقول ابن عاشـور: والزيـادة في المبنى زيـادة في المعنى، وزيادة النســاء في كلمة (التدبر) تدلُّ على زيادة في معنى الفهم والاستنباط) اهـ ابن عاشور.

وهذا لاحتياج المخاطب لمزيد من الفهم والاستنباط لأن القرآن المكي كان يخاطب كفرة جهلة: جهلًا بسيطًا، لا يعلمون الحق.. وهم بمجرد النظر في القرآن يؤمنون.

أما في خطابه في السور المدنية.. فإنه يخاطب المنافقين فهؤلاء ليسوا جهلة جهلًا بسيطًا، بل جهلًا مركبًا أي: أنه جاهل ويجهل أنه جاهل.

وعلـى قدر المرض تحتاج إلى أخذ الدواء، وعلى قدر المرض تحتاج إلى أخذ الشفاء..

ومن أجل ذلك جاء بصيغة (التدبر): ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤].

في بعـض الأحاديـث أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حين قـرأ هذه الآية ســمعه شاب من اليمن، وكان قد جاء في وفد اليمن، فقال: بل على

قلـوب أقفالهـا تنتظـر أن يفتحهـا الله وأن يفرجها الله. فسـمعه عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وحفظه حتى لما ولي استعمله.

وانظـر إلى فهمـه.. نحـن نحتـاج أن يفتـح الله قفـل قلوبنـا، ولا يكون ذلك إلا بالتضرع إلى الله والانكسار.

إشكالية الاستغناء وأنت تأتي بالورد القرآني.

بل تلج بوابة القرآن بنفسية الاحتياج والافتقار للهدى.

الاحتيـاج للحيـاة مـن المـوت، الاحتيـاج للنـور مـن الظلمة، الاحتياج للشـفاء من المرض، الاحتياج للطمأنينة من الاضطراب، الاحتياج للذكر من الغفلة.

قال الحسن البصري: «ابن آدم كيف تجد قلبك وأنت همك آخر السورة؟».

ولذلـك لا يتدبر القـرآن إلا من يعرف قدر القرآن، ويعرف ما في نفسه من مرض.

ولذلك هذا هوالرابط بين هذه الوقفة والوقفة السابقة: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد:١٩].

الذي يعرف الله، ويعـرف قدر كلامه وعظمة كلامه، وعظمته، ويعرف قدر نفسه وحاجتها وافتقارها هذا هوالذي يتدبر القرآن.

هو الذي يدخل القرآن بقلب مستسـلم.. منكسر الأقفال، فإذا تدبرت القرآن وفهمته.. أعددت العدة للامتحان.

وهذه هي الوقفة الرابعة: امتحان القلوب:

يُظن أن الفتن سـبب ضلال الناس وليس الأمر كذلك، بل هي سـبب لكشـف النفوس وإظهار كمائـن النفوس والـشرور المنطوية فيها، فليس العيب في الفتن، وإنما في خبث القلوب المنجذبة إليها!

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴾ [محمد:٢٩].

الله أخرج أضغانهم بهذه الفتن، أظهر أحقادهم وأمراضهم بهذه الفتن.

لـو أنت في نفسـك مرض، وفي نفسـك شـهوة ولا تتـوب منها مستندًا إلى ستر الله عليك.. اعلم أنك أسأت الظن بالله. سيمتحنك؛ ليستخرج ما في قلبك.

لذلك شيخ الإسلام يقول: «أعظم الذنوب علمك بخبث باطنك، وعلمك بنظر الله إليك، ثم صبرك على ذلك».

تعلم موضع الذنب من القلب والهوى ولا تطهره بالتوبة.

الرجل الذي كان يحب المرأة ابنة عمه -(رقم ٢) في قصة أصحاب الغار- كأشد ما يحب الرجال النساء.. كان لا يطهر قلبه من هذا الحب المحرم، فامتُحِنَ وجاءت الفتنة تحت قدميه.

إما أن يقع وينتصر الشر الذي بداخله والشهوات، وإما أن ينتصر الخير والخوف من الله والإخلاص له.

- ﴿ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ﴾ [التوبة:٦٤].

- علمت من ذلك أن من الأشياء التي يخرج بها الأضغان الوحي، من أجل ذلك إذا أردت اختبار قلبك مريض أم صحيح، اعرضه على الوحي، (فلوطهر قلبك ما شبع من كلام ربك).

ولكن القلب المريض يشبع ويعرض ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾ [الحجرات:٣].

القلب السليم يسمع ويطيع ولا يرفع صوته فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الحجرات:٢].

كذلك النجاح الانصياع لأوامر الوحي في كل لحظة.

كذلك أنت تحتاج أن تعرض سور القرآن على قلبك، وتتبين هل قلبك مريض أم صحيح؟

لذلك قبل الامتحان جاء ذكر القرآن: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ [محمد:٢٤].

والمعادن تظهر وتنكشف من الإيمان أو النفاق.

﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٠ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ﴾ [محمد].

القضية ليست في فتن الألقاب والرئاسة والشهرة والأضواء، وشهوات العلو وشهوات الفساد، إنما القضية في القلوب الخبيثة، والقلوب الخبيثة ولو كانت في المحراب سيسعر بها النار، ولو كانت

تقرأ القرآن، ولو كان يُقال عنها داعية وتخطب في الناس؛ لأن الله لا يُخادع والعملة الزائفة لا تروج على الله.

الجدية في الالتزام بين الصدق والإخلاص:

ولذلك خذ الكتاب بقوة ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾ [الطارق].

الدين حياتك، الدعوة حياتك، ليس في أوقات رخائك وفضلات وقتك، بل هو أغلى من منجمك وشحمك ولحمك وأعصابك.

لا تغفل عن نفسك وتنزلها في غير منزلها، كن بين الرهبة والرغبة، ولا تغب عن:

١- ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾ [الصافات:٢٤].

٢- **«ألم أذرك ترأس وتربع وتتزوج النساء فأين شكرك؟»**.

المناجاة التي بينك وبين يدي الله غدًا فتقول: أي رب، نسيت..!

يقول: **«اليوم أنساك كما نسيتني»**.

٣- ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦].

٤ - ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴾.

[طه:١٢٦]

لابد من اليقظة بالقرآن لتثمر البصيرة والمحاسبة والتوبة والعمل الصالح.

- كان الحسن البصري يقول: «أخشى أن أمسخ وأنا نائم».

- كان محمد ابن واسع كان يقول: «لو كانت للذنوب ريح ماطاق أحدكم مجالستي، ولو وضع بكل ذنب حجر في البيت ما وجدتم موضع قدم».

- أبوبكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ كان يقول: «ليتني كنت شعرة في جنب امرؤ مسلم».

- أبوذر كان يقول: «ليتني كنت شجرة تعضد».

- وكان عمر يسمع: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴾ [الطور:٧] يمرض في بيته أيام فيعوده الناس لهذا، وما به من مرض، ما به إلا الخوف من الله.

- وفي سياق موته كان يقول: «ويلي وويل أمي إن لم يرحمني ربي، المغرور من غررتموه، وددت لو أني نجوت من هذا الأمر لا أجر ولا وزر».

- عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا يدخل عليها ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وهي في سياق الموت يقول لها: «كيف تكونين، فأنت بخير إن شاء الله». فتقول له: «بخير إن اتقيت». فجعل يقول لها: «مات النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو عنك راض، وبرأك الله من فوق سبع سماوات، وكنت أحب نساء النبي إليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» وخرج من عندها فقالت: «دخل عليه ابن عباس، فأثنى عليَّ، ووددت لو كنت نسيًا منسيًّا».

- وهي التي تقول في حديث الإفك: «ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله في بأمر يُتلى، إنما ظننت أن الله سيري نبيه رؤيا، يبرأني فيها».

الانكسار سر الانتصار!

الانكسار سبب النجاة!

الانكسار سبب وضوح الرؤية وإفهام الله لك دورك واصطفاء الله لك واستعماله لك لذلك:

الوقفه الأولى: البُعد الغيبي في المعركة المحسومة.

الوقفة الثانية: العلم، سلاح العلم.

الوقفة الثالثة: حطم الأقفال بتدبر القرآن.

الوقفة الرابعة: نار الفتن تكشف القلوب والنفوس.

الوقفة الخامسة: المفاصلة.

الوقفة الخامسة: المفاصلة:

قال تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾.

[محمد:٣٨]

قد أرشدناكم للخير، وأوضحنا لكم الشر..

﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾.

وأمرناكم بالخير، ونهيناكم عن الشر، وعلمناكم مالم تكونوا تعلمون، وحملناكم الأمانة، وأرشدناكم كيف تداوون قلوبكم، وكيف تداوون واقعكم، وكيف تحذرون من مكر الشياطين، إن كان إنس أو جن، ودعوناكم للإنفاق والبذل والتضحية.

﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ ﴾.

كلمات خوطبت بها الأمة كلها حتى الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ.

في رواية أوردها ابن كثير في التفسير: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قرأ هذه الآية، فقالوا -أي الصحابة-: من يا رسول الله هؤلاء الذين يستبدل بنا غيرنا؟ فضرب على كتف سلمان الفارسي: «**مثل هذا، لوكان الدين في الثريا لذهب إليه أمثال سلمان من الفرس**».

وقصة سلمان الفارسي آية وعبرة في البحث عن الحق(١).

قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله إذا أحب عبدًا استعمله**»، قيل: وما يستعمله؟ قال: «**يوفقه إلى عمل صالح ثم يقبضه عليه**».

الدين لا يحتاج إلينا، الجهاد لا يحتاج إلينا، الدعوة إلى الله لا تحتاج إلينا، نحن الذين نحتاج إلى الدين والدعوة والجهاد.

﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾.

---

(١) قصة سلمان كاملة ؟؟؟؟؟.

هـذا خطـاب للصحابة خـير من بـذل وهاجر وجاهـد ووطء الثرى بعد الأنبياء.

﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾ عتاب شـديد، كيف تبخل في المعاملة مع الكريم؟!

كيف تبخل بالتعلـم والبذل والتضحية والصبر وبذل الأوقات في سبيل الله، كيف والله قد وهبك الحياة؟

﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾.

أنت لا تبخل عن الدين، ولا عن الله.

«يـا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضرونـي، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم».

لا يربـح في الدعـوة مثل الداعية المجاهد البـاذل، لأن الله ناصر دينه بنا أو بغيرنا ومتم نوره.

وهكـذا التولي لا يضر غير المعرض المتـولي الناكص على عقبيه، خسر حياته وبصمته ودوره!

أنـت تتعامل مـع الله، من وجد وجـد كل شيء، ومن فقده فقد كل شيء.

لا تجعـل دينـك قربانًا لأهوائـك وحظوظ نفسـك، لا تضحِ به لصراعات شخصية أو إدارية.

لا تجعل دينك ودعوتك طرفًا في الصراع.

اجعـل دعوتـك من أجل نفسـك فقـط! فأنت المحتـاج، لماذا؟ لأن الله غنـي ونحن الفقراء المعرض عن الطاعة كالمسـتغنى عن ربه فـلا تفعل هـذا، فالبدائل جاهـزة لله أوس وآخرون خـزرج فاحذر الاستبدال!

﴿ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ ﴾.

ثم تهديد.

عتاب وتعريف وتهديد:

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴾. [محمد:٣٨]

فالآية فيها عتاب وتعريف وتهديد.



عتاب على البخل والتولي والإعراض.

تعريف بمقام الربوبية ومقام العبودية: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾.

وتهديد: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾.

إياك أن تكون ممَّن يستبدل الله به غيره، انطلق علمًا وعملًا وقرآنًا وتدبرًا وفهمًا ودعوةً وبلاغًا وجهادًا، حتى تكون ممَّن يستعمله الله، وتكون من جنده الذين يستعملهم في طاعته.. ونصرة دينه.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.